

راية الوطن... روح التاريخ وهوية العز! عيسى المزوموي



ليس العَلم مجرد قطعة قماش تُرفع على سارية في فضاء السماء، بل هو ذاكرة وطن كاملة، تختزن في خيوطه حكايات الأرض والإنسان، وتختصر في ألوانه مسيرة أمة عبر الزمن. فالعلم، في حقيقته العميقة، نص رمزي مكتوب بلغة التاريخ، تقرأه العيون في لحظة، لكن معانيه تمتد في وجدان الشعوب عبر قرون من الكفاح والأمل والإنجاز!

وحين تُخصص الأوطان يوماً للعلم، فإنها في الحقيقة لا تحتفي بالرمز وحده، بل تحتفي بفكرة الوطن ذاتها؛ تحتفي بالذاكرة الوطنية التي صنعت الهوية، وبالإنسان الذي حمى الأرض، وبالقيم التي جعلت من الجغرافيا معنى يتجاوز حدود التراب. فالوطن ليس مجرد مساحة على الخريطة، بل تجربة إنسانية عميقة تتشكل من التاريخ والثقافة والإيمان بالمصير المشترك.

إن العلم، في فلسفة الأمم، هو المرآة التي تنعكس فيها روح الشعب. فهو ليس مجرد علامة سيادية أو شارة رسمية تُرفع في المناسبات، بل هو تجسيد بصري لقيم كبرى: السيادة، والكرامة، والوحدة، والانتماء. ولهذا السبب، ظل العلم عبر العصور رمزاً تتلاقى عنده المشاعر الوطنية، حتى أصبح حضوره في الوجدان أقوى من حضوره في الواقع المادي!

ومن يتأمل تاريخ الشعوب يدرك أن العلم لم يكن يوماً رمزاً صامتاً، بل كان دائماً شاهداً على اللحظات الكبرى في حياة الأمم؛ لحظات النهوض والانتصار، كما كان حاضراً في لحظات التحدي والصمود. فهو يرفرف فوق ساحات العمل كما يرفرف فوق ساحات التضحية، وكأنه يذكر الإنسان بأن المجد لا يُصنع بالصدفة، بل يُصنع بالإرادة والصبر والإيمان بالمستقبل.

وفي البعد الفلسفي، يمثل العلم عقداً معنوياً غير مكتوب بين الإنسان ووطنه؛ عقداً يقوم على التوازن بين الحق والواجب. فكما يحق للمواطن أن يفخر بعلمه، فإن عليه في المقابل أن يكون جديراً بهذا الرمز، لأن قيمة العلم لا تُقاس بارتفاعه في السماء فحسب، بل تُقاس أيضاً بمدى حضور قيمه في ضمائر الناس وسلوكهم اليومي. فالوطن لا يعلو برأيه وحدها، بل يعلو بإخلاص أبنائه وصدق أعمالهم!

ويوم العلم، في جوهره، لحظة تأمل ووعي قبل أن يكون لحظة احتفال. إنه يوم يدعو الإنسان إلى أن يستحضر في ذاكرته تاريخ وطنه، وأن يدرك أن كل راية تُرفع في السماء قد رُفعت أولاً في قلوب الرجال الذين آمنوا بفكرة الوطن ودافعوا عنها. فالأوطان لا تُبنى بالشعارات، بل تُبنى بالعمل والإيمان والقدرة على تحويل الحلم إلى واقع.

وفي زمن العولمة والسرعة، حيث تتقاطع الثقافات وتتشابك الهويات، يظل العلم بمثابة البوصلة التي تعيد الإنسان إلى جذوره الأولى. إنه الرمز الذي يذكره بلغته وتاريخه وأرضه، ويقول له بصمت بليغ: هنا البداية، وهنا الامتداد، وهنا المعنى الذي يجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل!

إن الأمم التي تعي قيمة رموزها هي الأمم التي تدرك سر بقائها. فالعلم ليس مجرد إرث بصري، بل هو وثيقة معنوية تختصر قصة وطن كامل. وكلما ازداد وعي الإنسان برمزية العلم، ازداد فهمه للعلاقة العميقة بين الفرد والمجتمع، وبين الإنسان والتاريخ. فالعلم يذكرنا دائماً بأننا لسنا أفراداً معزولين في هذا العالم، بل نحن امتداد لجماعة تاريخية وثقافية كبرى.

ومن هنا تتجلى عظمة يوم العلم في عهد قيادة الوطن الحكيمة، وربان السفينة، خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز وولي عهده الأمين الأمير محمد بن سلمان - حفظهما الله - فهو ليس احتفالاً بالمظهر بقدر ما هو احتفاء بالمعنى. إنه يوم يستعيد فيه الوطن صورته في مرآة أبنائه، ويستعيد فيه المواطن شعوره العميق بالانتماء. ففي تلك اللحظة التي يرفرف فيها العلم في السماء، يشعر الإنسان أن شيئاً من روحه يرفرف معه، وأن خيوط الراية تحمل شيئاً من ذاكرته وأحلامه!

ولعل أعظم ما يرمز إليه العلم هو الاستمرارية. فهو الشاهد الصامت على تعاقب الأجيال؛ جيل حمل الراية ليؤسس، وجيل حملها ليبني، وجيل يحملها اليوم ليصون المنجز ويواصل المسيرة. وهكذا يصبح العلم حلقة الوصل بين الماضي والمستقبل، وبين الحلم الذي بدأ والواقع الذي يتشكل.

إن العلم، بكل ما يجسده، ليس مجرد راية تُرفرف فوق الساريات، بل روح وطن تتجسد في صورة مرئية. وحين ننظر إليه بعين الوعي لا بعين العادة، ندرك أنه يحمل في طياته قصة أمة كاملة؛ قصة تاريخ كُتب بالتضحيات، ومجد صُنِع بالإرادة، ووطن لا يزال يكتب فصوله بأيدي أبنائه.

ذلك هو العلم: تاريخ لا يُنسى، ومجد لا يبهت، وروح وطن تبقى حيّة ما دام في القلوب نبض الولاء لتراب هذا الوطن الخالد، صفحات التاريخ رغم أنف الحاقدين وكيد الخائنين!